برنامج [قـرآنـهـم] - الحلقة (6) سورة الأعراف ج (3)

الاثنين : 9 شهر رمضان 1438هـ الموافق : 2017/5/5م

✤ وَصَل الحديث بنا في حلقة يَوم أمس إلى الآية 11 من سُورة الأعراف، قَولهِ تعالى: {ولقد خلقناكم ثُمّ صوَّرناكم ثُمَّ قُلنا للملائكة اسجدوا لآدمَ فسجدوا إلّا إبليس لم يكنْ من الساجدين} هَذه الآية جاءتْ بعد آيةٍ ذكّرتْ بعنوانٍ مُجمل للنعم الإلهيّة التي أسبغها الله تعالى على عبادهِ، {ولقد مكّناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون}

● وتَستمرّ الآية التي بعدها: {ولقد خَلقناكم ثُمّ صَوَّرناكم ثُمَّ قُلنا للملائكة اسجدوا لآدمَ فسجدوا إلّا إبليس لم يكنْ من الساجدين} الآية الكريمة ذَكرتْ الخِلْقة قَبل التَصوير، وواضح استعمال (ثُمّ) .. فكما يُقال في قواعد العربية (ثُمّ) تُشير إلى التراخي، والمُراد مِن التراخي وجود فاصل.. يعني هناك مرحلة أخرى، مرتبة أخرى.

✤ مع مُلاحظة أنّ الأحاديث الشريفة في كثيرٍ مِن الأحيان تتناولُ جهة مِن المضمون وليس بالضرورة أن تتناول جميع الجهات بِملاحظة السائل، بملاحظة المُخاطب، بِملاحظة هذهِ القاعدة (أنّ لكلّ مقامٍ ومقام) وتلك قاعدةُ البيان المُتّزن.

■ وقفة عند حديث الإمام في [تفسير البرهان: ج3] جاء فيه: (قوله: {ولقد خلقناكم} أي خلقناكم في أصلاب الرجال {ثمّ صُورناكم} في أرحام النساء..) إلى أن تقول: { ثُمَّ قُلنا للملائكة اسجدوا لآدمَ فسجدوا إلّا إبليس لم يكنْ من الساجدين}، فإذا كان المُراد مِن هذا الترتيب هو الترتيب بحسب التحقّق في الواقع الخارجي، فإنّه في الواقع الخارجي كان الأمر بالسجود لآدم قبل أن نُولد، قبل أن نُخلَق في أصلاب آبائنا وقبل أن نُصوّر في أرحام أُمّهاتنا - بحسب هذا البيان -

المعنى الذي جاء مذكوراً هُنا إنّما يُعطي مَرتبة مِن مراتب المضمون لِمعنى الخلق ولِمعنى التصوير.. فوجودنا في أصلاب آبائنا هو خَلْقٌ، ووجودنا في أرحام أُمّهاتنا هو تصويرٌ.. فهذا مِثالٌ يُقرّبُ الفِكرة، يُقرّبنا مِن الحقيقة التي تُشير إليها الآية وهي: أنّ الخَلْق تقديرٌ مُجملٌ، وإرادة.. والتصوير: تنفيذٌ لذلك التقدير المُجمَل - بحسب هذا المثال - هذا في العالم الحسّي.

● أمّا إذا أردنا أن نذهب إلى ما وراء العالم الحسّي فإنّنا كُنّا في عوالم عديدة.. وما عالم الأصلاب والأرحام إلّا مقطع مِن مقاطع العالم الأرضي، ثُمّ بعد ذلك خرجنا مِن عالم الأصلاب إلى هذا العالم الترابي، ولكنّنا موجودون في عوالم سابقة. فما جاء هُنا: {ولقد خلقناكم ثُمّ صوَّرناكم} هو مِثالٌ يُقرّب لنا خلقنا وتصويرنا في عوالم سبقتْ.. وإطلاق هذا المُصطلح فيه هذه الدلالة بالنسبة لوجودنا في العالم الأرضي. وجودنا في العالم الأرضي بعد أن جئنا عِبر السُلالات التي تفرّعتْ مِن أبينا آدم فإنّ وجودنا في أصلاب آبائنا هو خَلْقٌ، وإنّ وجودنا في أرحام أُمّهاتنا هو تصوير.

■ أيضاً في [تفسير البرهان] يقول الإمام الباقر "عليه السلام" في مضمون قولهِ تعالى: {و إذْ أَخَذَ ربُّكَ مِن بني آدم مِن ظهورهم ذُريّتهم...} يقول:

(أخرج مِن ظَهْر آدم ذُرّيتهُ إلى يوم القيامة، فخرجوا كالذر، فعرَّفهم وأراهم نفسه، ولولا ذلك لم يعرف أحدٌ ربَّه)

هنا جاء تكوين الفطرة، ولَما كَمُلتْ الفطرة في الإنسان كَمُل خلقه في تلكم المرحلة، في ذلك المَقْطع مِن مقاطع وجوده.. هذا مَضمونٌ آخر إذا ما نظرنا إليه وتدبّرنا فيه سيكون مِصداقاً لِما جاء في هذه الآية {ولقد خلقناكم ثُمّ صوَّرناكم ثُمَّ قُلنا للملائكة اسجدوا لآدمَ..} فهذه العملية تمّتْ قبل سجود الملائكة لأبينا آدم.

■ رواية أخرى تُسمّي التكوّن الجَنيني مِن النُطفة فالعَلَقة بالخَلْق، وتُسمّي التفاصيل النهائية (العين والأنف، والدمامة والوسامة في الخِلقة...وسائر التفاصيل) سمّت هذا المضمون بالتصوير:

(عن أبي جعفر الباقر "عليه السلام"، في قوله: {و لقد خلقناكم ثم صورناكم}. قال: أمَّا خلقناكم: فنطفةٌ ثمّ عَلَقَة ثمّ مُضغة ثمّ عظاماً ثمّ لحماً، وأمّا صورناكم: فالعَين والأنف والأذنين والفمُ واليدين والرجلين، صوَّر هذا ونحوه، ثمّ جعَلَ الدميم والوسيم والجَسيم والطَويل والقَصير وأشباه هذا)

هذا اطلاقٌ آخر في معنى المَخلوقيّة ومَعنى الخلقيّة.. ونحوٌ من أنحاء التصوير.

مثلُ هذا في الأحاديث التفسيرية وفي أحاديث المعارف المُصطلح نفسه يُصطلح في أكثر مِن دلالة.. على سبيل المثال:

● مُصطلح (الشيعة) أهل البيت في أحاديثهم يستعملون هذا المُصطلح في كُلّ مَن أحبّهم.. الشيعة هُم الذين أَحبّوا مُحمّداً وآل مُحمّد ووالوا أوليائهم وتبرّؤوا مِن أعدائهم (بالمُجمل) ولربّما أصابوا أو أخطؤوا في ولايتهم أو في براءتهم.. هذا المضمون نجد في حديث أهل البيت ما يدلّ على أنّه هو التشيّع، والشيعة هم هؤلاء الذين يتلبّسون بهذه الصفة.

لكنّنا أيضاً نَجد الأئمة "عليهم السلام" يَجعلون الذين يُحبّونهم ويُوالون أوليائهم ويتبرّؤون من أعدائهم على مَراتب.. فهناك المُحبّون، وهناك المُوالون، وهناك الشيعة المُخلصون.. فيستعملون مُصطلح (الشيعة) في مجموعة خاصّة.. بل إنّ هناك استعمالٌ (أخصّ) ورد

في أحاديث العترة حين تحدّثوا عن شيعة عليّ قالوا: شيعة عليّ: الحسن والحسين..بهذا المعنى سينعدم هنا عنوان التشيّع.. حين يكون التشيّع لعليّ مُنحصرٌ في الحسن والحُسين "صلوات الله عليهما". ونفس الأمر بالنسبة لعنوان (العقل، العرش، القرآن....) وهكذا..
فهذه مُصطلحات مُتحرّكة، في بعض الأحيان تتداخل في جهة من الجهات وفي أحيان أخرى تتفكّك وتنفصل، والسرّ في ذلك: هو أنّنا نستعمل ألفاظاً محدودة، والحديث بلسان المُداراة لتقريب المضامين، مثلما جاء في كلماتهم الشريفة مِن أنّنا لو عرفنا كيف بدأ الخلق لَما لام أحدنا الآخر، ولَما كانَ هُناك مِن جَدَلٍ بِخصوص ما يَجري مِن أحداث وتَفاصيل الحياة على الأرض.

■ لنا وجودٌ في عالم القَلَم واللّوح، وهُناك أيضاً خَلْقٌ وتصوير.. {ن والقلم وما يسطرون} ونُون في أحاديث أهل البيت مِن أسماء رسول الله "صلّى الله عليه وآله"
(ن) عُنوانٌ ورمزٌ للحقيقة المُحمّدية، وأمّا القَلَمُ فهو عنوانٌ لِعليّ.
(ن) في لُغة العرب إذا أخذناها كلمةً ولفظاً، فإنّ النون في لغة العرب هي المِحبرة، والقَلَم وسيلة الكتابة الذي يَستمدُّ قُدرته على التَصوير مِن مِداد هذهِ المِحْبرة، فهما لا يَنفكّان عن بعضهما.
فصُورتنا في المِداد، وحَقيقتنا في المِداد، وخِلْقَتُنا في المِداد، ولكن إذا نَظرنا إلى الأمْر بحَسب قانون تَعدّد الحَيثيات: فنحنُ في عَالم النُون مَخلوقون، وفي عالم القَلَم (أي عالم اللّوح المحفوظ) مُصوّرون، والعَوالم التي سَبقتْ هذا العَالم لا تَنتهي، فقبل عالمكم هذا اثنا عشر ألف ألف عالم - كما تقول كلماتهم الشريفة "عليهم السلام"-

● القَلَم واللّوح المَحفوظ هذهِ عناوين للحَقيقة العَلَوية، ومِن هُناك بَدأتْ تفاصيل الوجود.. هَكذا حَدّثتنا رواياتهم وكلماتهم الشريفة.. وإنّني إذْ أتحدّث عن الحقيقة المُحمّدية وعَن الحقيقةِ العَلَوية إنّني أتحدّث عن الإسم الأعظم الذي خَلَقه سُبحانه وتعالى فاستقرّ في ظِلّه فَلا يَخرج منه إلى غيره، وبعد ذلك أشرقت منه الأسماء الحُسنى ومِن الأسماء الحُسنى أشرق كلّ شيء.

■ ولنا خَلْقٌ وتصويرٌ في عَالم الذرّ - بِحسب ما اصطُلِح عليه في الثقافة الشيعية - وإلّا فهذا المُصطلح (عالم الذر) ليس مَنحوتاً في الروايات، إنّما جاء فقط ذكر الذرّ كما مرّت علينا الرواية السابقة. فأخرَجَنا مِن ظَهر أبينا آدم بصُورة الذر (في مرحلة تصوير) وحين كُنّا في ظَهر أبينا آدم كُنّا في مرحلة (الخَلْق).. وهكذا في أصلاب آبائنا في مرحلة خَلْق، وفي أرحام أُمّهاتنا في مرحلة تصوير.
فنحنُ نمرّ بمراحل عديدة، ولا ينحصر الكلام عند هذا فقط.. فهناك الصُوَر الحقيقية التي وراء هذهِ المَحسوسات، وهناك الصور التي سنُحشَرُ عليها، وهناك الصُور التي سيطرأ ما يَطرأ عليها مِن تغيير وتطهير حينما نُغسَل في ماء الحيوان قبل الدخول إلى الجنان.. وحينما يُنزَع الغِلّ مِن الصدور.. ونزعُ الغِلّ مِن الصدور هذه إشارات تتحدّث عن مراحل خَلْقٍ ومراحل تصوير..

■ قولهِ تعالى: {ولقد خلقناكم ثُمّ صوَّرناكم ثُمَّ قُلنا للملائكة اسجدوا لآدمَ فسجدوا إلّا إبليس لم يكنْ من الساجدين}
هُنا بدأت قصّة أبينا آدم.. وقِصّة أبينا آدم بِحاجة وقفة طويلة، كي تتضح هذهِ الصورة.. فهناك مِمّن تحدّث عن القرآن وتحدّث عن سذاجة في القرآن الكريم عن قصّة أبينا آدم وأُمّنا حوّاء وفَهِمَها فهماً أطفالياً، أولئك الذين يُهاجمون القرآن الكريم مِن ثقافاتٍ مُختلفة.. والسبب: هو أنّ المؤسسة الدينية تعرض القرآن بِسذاجة، والسبب لأنّهم يَحذون حذو المُخالفين لأهل البيت، وإلّا فإنَّ آيات الكتاب مع كلمات المَعصومين ترسم لنا صُورةً عَميقة ودقيقة تتجلّى في قصّة أبينا آدم وأمّنا حوّاء وهذا ما سأتحدّث عنه في هذه الحلقات.

✤ قبل أن أتناول تفاصيل قِصّة أبينا آدم لابُدّ أن أشير إلى المُخطّط الإجمالي لِسورة الأعراف، حتّى تتضح الفِكْرةُ جليّة.
هُناك مُشكلةٌ فِكْرية في التَعامل معَ قِصّة أبينا آدم، فإنّها تُفهَم وكأنّها كينونة تأريخية.. والحال أنّ قصّة أبينا آدم هي قِصّة خارج السياق التأريخ (لا علاقة لها بالتأريخ)

● اشتباهٌ كبير حِين تُجمع قصص الأنبياء وتُوضع قِصّة أبينا آدم بكاملها مع قِصص الأنبياء.. فإنّ وضْع قِصّة أبينا آدم مع قصص الأنبياء سيُؤدّي إلى أنّنا نتعامل مع هذه القصّة وكأنّها حادثةٌ تأريخيّة.
سِيرُ الأنبياء سِيَر تأريخيّة وقعتْ على الأرض.. أمّا قِصّة أبينا آدم قبل أن ينزل إلى الأرض فلا علاقة لها بالأرض ولا علاقة لها بالتأريخ.
إذا أردنا أن نكتب قِصّة أبينا آدم كما نكتب قِصص الأنبياء فلابُدّ أن نبدأ مِن اليوم الذي نزل فيه إلى الأرض، أمّا قبل نُزوله إلى الأرْض فتلكَ حكايةٌ أخرى.

✤ سأعرض بين أيديكم المُخطّط الإجمالي لِسورة الأعراف:

● سورة الأعراف عُنوانها عليٌ وآل علي، مُحمّد وآل محمّد.. هُم يَقولون "صلواتُ الله عليهم" نحنَ الأعراف.. وسَيأتي الكلام عن هذا العنوان.

وهذا مثال أيضاً.. فإنّ الأعراف عُنوانٌ لِمَوضعٍ {وعلى الأعراف رجال} هذا موضع.. لا هو مِن مواضع الجنان ولا هو مِن مَواضع النيران.. الأعراف منزلة. والأعراف عنوان لهم "صلواتُ الله عليهم".. سيأتي الحديث.. ولكن هذا مثال آخر لاستعمال نفس المُصطلح في أكثر من دلالة.

● فسُورةُ الأعراف تَعني مُحمّداً وآل محمّد، والبسملةُ بوابةٌ نَدخلُ مِن خلالها، ثُمّ (ألمص) رمزٌ لِخزانةٍ علميّة هائلة جدّاً.. وهنا يُحصى كل شيء فيها. ● سورة الأعراف مِن بدايتها إلى الآية 58 قصّة الإنسان والدين.. والمُراد مِن الدين هُنا: علاقة الإنسان بالله.

● من الآية 59 إلى الآية 102 إنّها حِكاية الأنبياء الأوائل.. حكاية تأريخ الدين في أوّليته على الأرض.. إذْ تبدأ الحكايةُ مِن نوح حتّى نَصل إلى النهايات.. فتلكم الأمم وتلكم الديانات كُلّفتْ بولاية محمّد وآل محمّد بالمُجمَل، ولكن بني اسرائيل كلفوا بالتفصيل!

● حكاية بني اسرائيل تبدأ من الآية 103 وتستمر طويلاً في سورة الأعراف إلى الآية 176.. إنّها حكايتنا.. كلُّ هذا الزَخم مِن الآيات في قصّة بني اسرائيل.. قصّة العجب!

● ومن الآية 177 إلى نهاية سورة الأعراف 206 هذهِ الآيات تُمثّل زُبدة المَخض مِن كلّ ما تقدّم.. هذه الآيات تُمثّل رُؤوس أقلامٍ مُركّزة ومُعَمَّقة ومُلخَّصة ومُبوّبة ومُقنّنة تُعطينا الزُبدة. هذهِ هندسة سورة الأعراف، وهكذا كلّ سُورةٍ مِن سُور القرآن لها هندستُها الخاصّة بها - كما مرّ - وكذلك الحال في الأدعيّة والزيارات، فكلّ دعاءٍ مِن أدعية أهل البيت لهُ أيضاً هندسة خاصّة في المعاني وفي البناء اللّغوي وفي التصوير الأدبي البلاغي، وفي الآثار النفسيّة والوجدانية. هذه الحقائق إذا ما نظرنا إليها فإنّ علم الرجال، وعلم الدراية، والكثير الكثير مِمّا جاء فيما يُسمّى بِعلم الأُصولين: (بأصول الفقه، وأصول العقائد) سنلقيه في المزابل.. هذه هي منهجيّة لحن القول.

✤ الكتاب الكريم تَعرّض لقصّة أبينا آدم وأمّنا حواء في مواطن عديدة تحدّثَ عنها بشيء مِن التفصيل في بعض المواطن وتحدّث عن جوانب منها بشيء من التفصيل في مواطن أخرى، وأجمل ذكرها في مواطن عديدة من الكتاب الكريم.

✤ سأمرُّ على أهمّ المَواطن في هَذهِ الحلقة أو في الحلقاتِ القادمة التي تَعرّض لها القُرآن الكريم لِقصّة أبينا آدم كي تتضح الصُورة جليةً وواضحة.

• سأمرُّ على سُورة البقرة.. ففيها ذُكِرتْ قِصّة أبينا آدم بشيء من التَفصيل.. تبدأ قصّة أبينا آدم فيها مِن الآية 30 فما بعدها.
• وفي سُورة الأعراف تبدأ قِصّة أبينا آدم فيها من الآية 11 فما بعدها.
• وفي سُورة الحِجْر.. سَأسلّط الضَوء على أهمّ صُورة فيها فقط.. لأنّي لا أُريد أن أقف عن كلّ آيةٍ تحدّثتْ عن أبينا آدم.
• في سورة طه جاء تفصيلٌ مهم لقصّة أبينا آدم.. ويبدأ هذا التفصيل من الآية 115.
• وأيضاً عندنا آيات تناولتْ قصّة أبينا آدم في سورة ص، وسوف ألتقطُ أهمّ الصُوَر مِن سُورة ص.

ولكنّ أكثر الحديث سيكون مُركّزاً على ما جاء في (سُورة الأعراف) وسأجمعُ بين مضامينها وبين ما جاء في سُورة البقرة، وما جاء في سُورة طه، وصُور نأخذها من سورة الحِجر ومن سورة ص.

✤ أمرّ مروراً سريعاً على ما جاء في آيات سورة الأعراف فيما يرتبط بقصة أبينا آدم

■ قوله تعالى: {ولقد خلقناكم ثُمّ صوَّرناكم ثُمَّ قُلنا للملائكة اسجدوا لآدمَ فسجدوا إلّا إبليس لم يكنْ من الساجدين}

الملائكةُ جَميعاً سَجدوا.. وإبليس لم يكن مِن الملائكة، إبليس كان مِن الجن بصريح القرآن.. أمّا السَبب الذي جاء بإبليس بين الملائكة فهذهِ الروايات تُحدّثنا أنّ الجنّ أُممٌ حكمتْ الأرض في مقطعٍ مِن مقاطع تأريخ الأرض، وأفسدتْ بالمُجمل ولم يكنْ فيهم مَن يستحقّ التكريم إلّا إبليس، فكُرّم مِن بين هؤلاء بعد أن حدثَ ما حدث مِن تغيير في نظام الحاكمية والخلافة في الأرض حين انطوى عصْرُ الجنّ من على وجه الأرض.

فابليس استحقّ التكريم، فكان بين الملائكة.. وإلّا فهو لم يكنْ مِن الملائكة مُطلقاً، ولم يكن من قُطّان ذلك العالم حيث كانت الملائكة.

■ قوله تعالى: {قال ما منعكَ ألا تسجد إذْ أمرتكَ قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخَلَقْتَهُ مِن طين} مَن تابعَ البرنامج مِن أوّل حَلقة، حين تحدّثتُ عن (علم الرجال - الذي ذبحَ حديث أهل البيت بظلمٍ وإجرام-) وعرضتُهُ على القرآن، وتحدّثتُ عن قِصّة أبينا آدم وكيف أنّ إبليس خَدَعه حين حلفَ لهُ أيماناً فصدّق به.. فقلتُ مِن أنّ جَذْر المُشكلة في سَفاهة علم الرجال واضحٌ في هذه الحكاية وفي هذه الواقعة.. ولربّما استغرب البعض منّي ذلك.. وأنا أُذكّر الذين استغربوا هُنا وأقول:

في مثل هذا الموطن مِن الكتاب الكريم حِين يتحدّث إمامنا الصادق مع أبي حنيفة (إمام المذهب الحنفي) ويُشير إلى قياسهِ.. فإنّ الإمام يربط هذهِ الحالة بقصّة إبليس وقياسه، فيقول له: أنّ أوّل مَن قاس هو إبليس! وإنّ أوّل مَن استعمل موازين التقييم هو آدم، وقد سقط في الامتحان

والسبب في ميزان التقييم الفاشل ذلك هو إبليس.. كما أنّ السبب في طريقة الاستنباط هذه التي تعتمدُ القياس هو إبليس..!

إذن حكاية المؤسسة الدينية تبدأ من هناك.. تلك هي حكايتنا..!
وبالمُناسبة: فإنّ فقهاء الشيعةِ يلجؤون إلى القياس أيضاً، ولكنّهم غلّفوا القياس بعناوين.. زوّقوه، أعطوه مُصطلحات أخرى.
● قولهِ تعالى: {قال ما منعكَ ألا تسجد إذْ أمرتكَ قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخَلَقْتَهُ مِن طين} هنا إبليسُ وقع في مُشكلتين:
• المُشكلة الأولى: القياس
• والمُشكلة الثانية : عمل بالظاهر بعيداً عن الباطن!
أليس هذا هو واقع الثقافة الشيعية في المُؤسسة الدينية..؟ وهو نفسهُ واقع الثقافة السُنيّة في مؤسستهم الدينية.
القياسُ والاستحسان والتمسُّك البدوي بالظهور اللّفظي، وحِين يتعاملون مع القرآن يتعاملون مع ظاهرٍ مُقشّرٍ ومُبَعّدٍ عن بواطن القرآن التي لا نستطيع أن نُفكّك فيما بينها، فما مِن ظاهر إلّا وله باطن.
لا نستطيع أن نُدرك هذهِ التفاصيل مِن دون دليل.. والدليل هُم "صلواتُ الله عليهم".. ولكن، أليست جذور المُشكلة هي هُنا..؟!
مُشكلة إبليس أساساً معَ آل مُحمّد.. إبليس نَظَر إلى آدم فرفض السُجود لآدم، بينما السُجود ليس لآدم، السجود لِمحمّد وآل محمّد.
مُشكلة عُلمائنا حِينما يَرفضون أحاديث المَقامات وأحاديث المعارف أنَّهم ينظرون إلى مُحمّد وآل مُحمّد في صُورتهم البشريّة بمعزلٍ عن مقاماتهم الربوبيّة..(المُشكلة هي هي: قياس، واستحسان، واعتمادٌ على ما يَصِلُ إليه الجُهد البشري مِن دون الارتباط بالغَيب، مِن دُون اللّجوء إلى مَعدن الغَيب وهم "محمّد وآل محمّد" التمسّك بظواهر الأمور مِن دُون أن نذهبَ إلى الحقائق التي أرادونا أن نحوم حولها - على الأقل-).
● قول إبليس: {قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخَلَقْتَهُ مِن طين} هُنا قام إبليس بعملية قياس ساذجة، ونظر إلى الأمر مِن ظاهره مِن دُون أن يلتفتَ إلى أنّ النار التي خُلِقَ منها هي مِن الشجر، والشَجَر مِن الطين، وآدم أعلى رُتبةً منه ولذا استحقَّ السجود.. عِلْماً أنّ حقيقة السُجود لآدم ما كانتْ لآدم، وإنّما كانت لِمحمّد وآل محمّد.
■ قول الآية: {قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين} الصاغر هو الذليل.
قطعاً هذهِ الجنّة التي كانَ فيها آدم وحوّاء وإبليس هي غير الجنّة التي سيخلدُ فيها الخالدون، ولكنّها جنّة، عالمٌ جناني طاهرٌ راقٍ عالي.
● قوله: {فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر} أي أنت تستحقّ أن تعيش في مكانٍ هابط بعيدٍ عن العلو.. علماً أنّ هذا التكبّر مِن إبليس هو بحسب الظاهر تكبّر على أبينا آدم، ولكنّه في حقيقتهِ تكبّرٌ في فناء محمّدٍ وآل محمّد.
● قولهِ {من الصاغرين} الصاغرين هُم الذين يتَّصفون بصِفَة الصَغَار، والصَغَار هي المذلّة والمهانة والحقارة.
■ قوله تعالى: {قال أنظرني إلى يوم يبعثون} انظرني: أي أعطني النَظِرة - يعني تَمهَّل عليّ - الروايات تُحدّثنا مِن أن إبليس قال لله تعالى بعْد أن طَرَدهُ مِن ذلك العالم، قال: يا إلهي، إنّك تُجازي الخَير خيراً، وقد عملتُ خيراً فيما سلف من الزمان، فما جزائي؟ فقال له تعالى: ما تُريد أن أُجازيك؟ قال إبليس: {قال أنظرني إلى يوم يبعثون} فجاء الجواب: {قال إنّك من المنظرين} أي أُعطيك مُهلة. ولكن بحسب ما جاء في كتاب الله تعالى هذه المُهلة ليستْ إلى يوم القيامة، وإنَّما إلى يوم الوقت المعلوم، والروايات تقول أنّ الوقت المعلوم عصْرُ خروج القائم "صلواتُ الله عليه".. إبليس سيُقتل في العصر المهدوي.
■ قولهِ تعالى: {قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم} هذا فَهْمٌ خاطىء أيضاً.. فإنَّ الله تعالى لم يكنْ هو الذي قد أغوى إبليس .. إبليس هو الذي أوقع نفسه في الغيّ، والغيّ هو الضلال.. الغيّ عنوانٌ يشتملُ على السفاهة، والحَماقةِ، والجهالةِ والضلالة.. الغيّ عنوانٌ مُضادٌ للرشد.. فمَن يقعُ في الغيّ يكون قد وقع في الغواية. إبليس نَسَب الغِواية إلى الله.. وهذا أيضاً مِن فَهْم الظاهر.
فحينما أمَرهُ الله أن يسجد لآدم عَدَّ هذا الأمْر غِواية.. فقال: {قال فبما أغويتني} وهُو يُشير إلى هذهِ القَضيّة: لأنّ الله يَعلم أنّ إبليس إذا ما أُمِر بالسجود لآدم فإنّه سيرفض.. فإبليس عدّ هذا غواية..كأنّه يقول: يا ربّ إنّك تعلم أنّك إذا أمرتني بالسجود لآدم إنّني سأرفض، فلماذا أمرتني؟ لماذا لم ترحمني؟ فإبليس يقول لله تعالى: {فبما أغويتني} أي لأنّك فعلتَ معي هكذا.. {لأقعدن لهم صراطكَ المُستقيم} أي سأكون ثابتاً في هذهِ النقطة.. يعني يجدونني حاضراً دائماً أحول فيما بينهم وبين الصراط المُستقيم.
■ مِن بديهيات حَديث العِترة المُفسّر للقرآن الكريم هو أنّ "الصراط المُستقيم" هو عنوانٌ لعليّ "صلواتُ الله عليه".. ومُشكلة إبليس هي مع صِراط عليّ.. ولِذا أحاديثُ أهل البيت تقول أنّ إبليس لا شأنَ لهُ بِدين الذي ترك صِراط عليّ.. إبليس بنحوٍ عام يُبغض أبناء آدم، ولكنّ هُناك أولويات عند إبليس.. الأولوية الأولى عند إبليس "صراط عليّ" ولهذا يقول: {قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم* ثم لآتينهم من بين أيديهم ومِن خَلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين}
- وقفة عند حديث الإمام الباقر "عليه السلام" في [تفسير البرهان: ج3]: (عن زُرارة قال: قلتُ لهُ: قولهُ عزّ وجلَّ: {لأقعدنَّ لهم صِراطكَ المستقيم* ثُمَّ لآتينهم مِن بين أيديهم ومِن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين" قال: فقال أبو

جعفر "عليه السلام": يا زُرارة إنّه إنّما صَمَد لكَ ولأصحابك، فأمَّا الآخرون فقد فرغَ منهم). حين سلبهم ولاء عليّ وتركهم كالبهائم فقد فرغ منهم..! الصراع هنا.

● قول إبليس (ثُمَّ لآتينهم مِن بين أيديهم ومِن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم) هذه عمليّة إعماء.. إنّه يُعمينا، يُصمّنا.. إنّها الصنميّةُ القاتلةُ، إنّه يُغلق عليكم منافذ التفكير، ويُوجّه عقولكم إلى جهة واحدة، إلى شخص واحد (إيّاك أن تنصِبُ رجُلاً دُون الحُجّة فتُصدّقه في كلّ ما قال وتدعو الناس إلى قوله)!

● رواية أخرى أيضاً في [تفسير البرهان: ج3]:(عن أبي بصير عن صادق العترة قال الصراط الذي قال إبليس لأقعدنّ لهم صراطك المُستقيم : قال: هو عليّ)

■ رواية أخرى عن الإمام الباقر "عليه السلام" في [تفسير البرهان: ج3] جاء فيها:
({لآتينهم من بين أيديهم} يعني أُهوّن عليهم أمْر الآخرة {ومِن خَلفهم} آمُرُهم بجَمْع الأموال ومنعها عن الحقوق لتَبقى لوَرَثَتهم {وعن أيمانهم} أُفْسِد عليهم أمْر دِينهم بتزيين الضَلالة وتَحسين الشُبْهة {وعن شَمائلهم} بتحبيب اللَّذات إليهم وتَغليب الشَهوات على قلوبهم).
فماذا ترك إبليس لعنة الله عليه..؟ لقد أغلق الأبواب في وجوهنا.

✤ وقفة عند مَقطع من أحد الأدعيّة النهارية التي يُستحب قراءتها في نهار شهر رمضان.. تتحدّث عن أساليب إبليس المختلفة التي يتّبعها لإغواء وإضلال الخلق، يقول الدعاء:
(اللّهم صَلّ على مُحمّد وآل مُحمّد، وأعذني فيه مِن الشَيطان الرَجيم، وهَمْزه، ولَمْزه، ونَفْثه، ونَفْخه، وَوَسوستهِ، وتثبيطه، وبَطْشه وكَيده، ومَكْره، وحَبائله، وخُدَعه، وأمانيّه، وغُروره، وفِتنتهِ، وشَرَكهِ وأحزابه - مجموعات من الجنّ والإنس - وأتباعهِ وأشياعهِ وأوليائه وشُركائه، وجَميع مكائده)!
كلّ هذهِ الوسائل وكلّ هذه الأساليب يُوظّفها الشيطان الرجيم لكي يقود الإنسان إلى المتاهة وإلى المضلّة.
هناك سلسلة طويلة من وسائل إبليس في الإغواء لا نملك في اللّغة ألفاظ تُشير إليها، ولذا قال الدعاء (وجميع مكائده).

● أوّل شيء يضربه إبليس هو العقول.. إذا ما ضرب عقولنا انتهى كلّ شيء.. والعقول تُضرب بالفكر الناصبي (طلبُ المَعارف مِن غَير طريقنا أهْل البيت مُساوقٌ لإنكارنا). هذه القدرات والوسائل تُوجّه لِضرب عقولنا تكون: إمّا بشكل مُباشر، أو من طريق الأشخاص الذين نُصنّمهم ونعتبرهم مصادر الدين والعلم، وهم قد تسرّب الشيطان إليهم (مِن حيث يشعرون أو لا يشعرون) ثُمّ يَحثون الفِكْر الناصبي في عقولنا.
إبليس ضرب المنظومة العلمية والعقلية لأبينا آدم.. ونفس الذي فعله هُناك يفعله معنا (حين يُفسّر مراجعنا القرآن وفقاً للفكر الناصبي..) الحكاية هي الحكاية.. هذا هو السقوط الأكيد!

■ قولهِ تعالى: {قال اخرج منها مذؤوماً - يعني مذموماً مدحوراً - أي مُبعداً مَطروداً - لَمَن تبعكَ منهم لأملأنَّ جهنم منكم أجمعين} هنا يتبرأ الله من إبليس، وأنتم أيضاً عليكم أن تتبرّؤا مِن منابع الفِكر الناصبي.